فوز حماس فيها سيلغي جميع الاتفاقات.. وإلغاؤها سيخلق احزابا علمانية من الممكن التعامل معها

الانتخابات في السلطة ستحسم مصير الفلسطينيين واسرائيل لسنين عديدة

اصبحوا في المقاطعة يفكرون في يوم الخميس اليوم الذي يلي المعركة السياسية الاكثر حسما التي سيعرفها الفلسطينيون منذ ان صافح ياسر عرفات رابين في ايلول (سبتمبر) 1993 السؤال الذي يقلق الجميع هو: ماذا سيحدث اذا لم تكتف حماس بـ ال 45 في المئة او الـ 50 في المئة التي قد تحصل عليها في انتخابات السلطة التشريعية. ماذا سيفعلون اذا ما اراد الحزب الذي أعلن الحرب على اتفاق اوسلو، ان يدخل رجله في حكومة السلطة ـ وهي حكومة اقيمت بفعل ذلك الاتفاق؟

ثم من يقولون انه اذا لم يكن ممكنا ان تهزم حماس فانه يحسن ضمها. وآخرون، وعلى رأسهم محمد دحلان غير مستعدين حتى للاستماع لتقاسم الكعكة، او في الاصح الكعكة الصغيرة مع الاسلاميين. في فتح، كما في حزب البعث، النخبة الحاكمة مقرونة بالسلطة برباط من المصالح شديد.

ضم حماس الى السلطة التنفيذية قد يستطيع رياضة الكلب الشرس. فمن يعلم، قد تبدو الحياة لافراد حماس من مكاتب الحكومة على وجه يخالف ما تبدو عليه من المساجد. كلما كان انجازهم أكبر، فانهم سيحملون على كواهلهم مسؤولية أكبر عن سلامة ورفاهة جمهور أكبر. لكن الامريكان لم يتركوا لابي مازن شكا في أن ضم حماس الى الحكومة سيكون المسمار الاخير في نعش خريطة الطريق. وقد كتب مستشارو أبو مازن امامهم بعناية كبيرة اقوال رئيس الحكومة بالوكالة، ايهود اولمرت عن الاستعداد لتجديد التفاوض على التسوية الدائمة. انهم يأخذون في حسابهم ان الائتلاف مع حماس سيعفيه من هذا الالتزام.

تحفظ وزيرة الخارجية تسيبي لفني عن ظهر قلب تلك المادة في الاتفاق المرحلي «اوسلو ب» التي تسقط مرشحين للسلطة التشريعية «يسعون الى نيل اهدافهم بوسائل غير قانونية او غير ديمقراطية او يمارسون العنصرية أو يشجعون عليها». في الصيف الذي مضى، عندما زار وزير الخارجية البريطاني، جاك سترو البلاد، طلبت اليه لفني ان تطالب اوروبا أبو مازن بتحقيق هذه المادة في الانتخابات. اضطر الرئيس الامريكي بوش شارون ان يسلم لمشاركة حماس انتخابات مجلس. ولكن الطريق بعيد جدا من هنا الى حيث تعقد اتصالات بحكومة تشمل حزبا يعرفه القانون الامريكي انه «منظمة ارهابية». لن يقف الاوروبيون ايضا صفا للقاء الوزير محمود الزهار.

في واقع الامر، اصبح لحماس ممثل في الحكومة هو وزير الاقتصاد، مازن سنقرط، وهو رجل اعمال من رام الله، مشايع لحماس كل المشايعة. دخل سنقرط في حكومة أبي مازن وعلى رأسه قبعة «مستقل» وهو شيء مكن من الالتفاف على القطيعة الاسرائيلية والامريكية لحماس. ان نعوتا من هذا القبيل ستساعد في التغلب على القانون الاسرائيلي ايضا، الذي يمنع حماس المشاركة في الانتخابات في القدس. عندما سينقض منتخبو الحزب زمرا على المجلس الوزاري، فسيكون من الصعب تكرير هذه الحيلة الدنيئة.

يفترض أبو مازن أن حماس بعد أن تذوق شيئا من لذائذ السلطة سيكون في الامكان ان يجبى منها ثمن باهظ عوض ذلك. سيكون الثمن توقيعا على اعلان اخلاص لمبادىء السلطة ـ قانون واحد، وسلطة واحدة، وجيش واحد.

اتصال من جانب واحد

تذكّر لافتة حماس الانتخابية الاكثر ذيوعا، جمهور الناخبين ان «خمس سنين من المقاومة قضت على عشر سنين من التفاوض». ومع ذلك، تبين استطلاعات كثيرة أنه برغم ازياد تأييد حماس، واجماع الجمهور الفلسطيني العريض على أن العنف هو الذي افضى في نهاية الامر الى خطة الانفصال، فان اكثر الفلسطينيين ما زالوا يفضلون الخيار السياسي.

لافتات فتح تقترح صورة عرفات وبجانبه صورة مروان البرغوثي يلوح بيديه المكبلتين. يحرص ابو مازن على اقامة القانون الذي يلزم الرئيس الحفاظ على الحاد في أثناء المعركة الانتخابية كلها. لقد رفض عددا كبيرا من عروض تصوير في صحبة اناس من مشاهير الغربيين، فهنالك في الاساس عدد غير قليل من المرشحين في قائمة فتح يرون أن صورة مع ابي مازن لم ترد عليهم شيئا بل ستضر.

يريد أحد المقربين من أبي مازن أن يعتقد أن كل شيء سيبدو مخالفا بعد الانتخابات في المناطق وقبل الانتخابات في اسرائيل. انه يفترض أن نتائج الانتخابات ستبين لاسرائيل وللامريكان ملء معنى ابدال ميراث شارون بميراث رابين. انه سيطرح لدى باب القدس وواشنطن حبة البطاطا اللاهبة للاصولية الاسلامية ويعرض عليهما امكانين. أحدهما ـ كتاب استقالة، وفض السلطة، وحفل انهاء لاوسلو واعلان عن دولة اسلامية في غزة وسيطرة عصابات الشوارع على نابلس. الطريق الثاني، الذي يوزن بجدية في الحلقة القريبة من الرئيس، هو صفقة تجديد المسيرة السياسية (بحسب احد الاقتراحين، على اساس مخطط كلينتون او اتفاق جنيف)، ومساعدة اقتصادية وأمنية كبيرة للسلطة، واصلاح شامل في الحكم، ونزع سلاح المسلحين. بكلمات اخرى، احياء مسيرة اوسلو.

امام ابو مازن امكان آخر هو الاعلان في غد الانتخابات عن وضع طوارىء، وابطال نتائج الانتخابات، واعلان عن انتخابات جديدة في غضون نصف سنة. في غضون هذه المدة ستضطر الحكومة الجديدة التي ستقوم في اسرائيل وحليفتها الامريكية الى الاختيار من بين خيارين. «ليس الحديث عن اختيار من بين حزبين ولا حتى من بين توجهين»، يبين المقرب نفسه. «سيطلب الى اسرائيل ان تقرر قريبا أتفضل سلطة علمانية تتجه الى الغرب والتنوير، أم جارة تتجه الى الشرق وتنتمي الى الدول الاسلامية».

ان رفض شارون العنيد آن يلقي لابو مازن حتى بعظم هش في صورة تنسيق الانسحاب الاسرائيلي من القطاع، أزاح الاوهام لدى الدوائر البرغماتية في المناطق، ان وضع الفلسطينيين يقض مضجع رئيس الحكومة. صعب عليهم في قيادة فتح ان يؤمنوا ان سائسا داهية محنكا مثل شارون لا يدرك أن سياسة احادية الجانب تجعلهم عصبة من الموظفين الحزبيين غير ذوي صلة. ان تضييق الاطواق الامنية، وتجديد الاغتيالات، واستقرار الرأي على الا يشارك سكان شرقي القدس في الانتخابات، زادت في ارتيابهم ان شارون انما يعنى في الحقيقة بتقوية حماس وهي ليست شريكا يمكن قبوله. فمع الغلاة الاسلاميين لا داعي في الحقيقة يدعو الى الكلام في الكتل الاستيطانية، وتبادل المناطق، وتسويات خاصة في الحرم القدسي، او في حل لمشكلة اللاجئين لا يشتمل على حق العودة.

ومع هذا كله، برهن تنفيذ الانسحاب من غزة للفلسطينيين على أن شارون اذا عقد العزم على تقديم مسيرة، فان شيئا لن يقفه. بعد ذلك في التفاوض على المعابر، ثبت لديهم كيف يطوي شاؤول موفاز صاحب الرجولة، وكيف يثني يد عاموس جلعاد، الذي يمقتونه، حتى وقع على الاتفاق. انهم يخافون الا يستطيع اولمرت المبتدىء مواجهة الجنرالات.

أوجه تأييد السلام

في بحث شامل، يقوم على عشرات من استطلاعات الرأي اجريت بين سكان المناطق في العقد الاخير، يقرر الدكتور خليل الشقاقي من رام الله، الذي يعد ملك استطلاعات الرأي الفلسطينية، انه منذ بدء المسيرة السلمية لم يكن لديهم تأييد كبير كهذا لتصالح واسرائيل. هذا واحد من ثلاثة توجهات رئيسة يعدها في وثيقة من 16 صفحة تنشر عشية الانتخابات، كورقة عمل خاصة من قبل المعهد الامريكي للسلام. هذا التوجه الايجابي، كما يذكر الشقاقي، لم ينقطع ايضا في الايام الاشد من الانتفاضة الثانية. والتوجه الثاني هو ان تأييد العنف يزداد ازديادا مطّردا مع تصور التهديد واحتمال الألم والمعاناة اللذين تتسبب بهما سياسة اسرائيل. معارضة العنف تزداد ازديادا مطّردا مع التقدم في المجال السياسي.

يؤكد البحث أن الوقت مهيأ لاتفاق دائم، لان هذه هي المرة الاولى التي يؤيد فيها اكثر الفلسطينيين تسوية يقبلها اكثر الاسرائيليين هذا الشيء يمنح مقرري السياسات مجال مناورة سياسية لم يكن لها مثيل. في مقابلة ذلك، غياب العلاقات المتبادلة الطبيعية بالجيران، والذي ينبع من أن اكثر الاسرائيليين الذين يلقونهم هم جنود أو مستوطنون، يزيد عدم الثقة عند الفلسطينيين بوجود شريك اسرائيلي لتسوية دولتين.

والتوجه الثالث: توجد صلة عند الفلسطينيين مباشرة وثيقة ودائمة بين عملية بناء الدولة وصنع السلام. يبين البحث أنه من غير تقدم مستمر نحو الاستقرار، تتضاءل احتمالات أن يجد الفلسطينيون طريقهم الى الديمقراطية والى حكم سوي. في الظروف الحالية، ستلعب اللعبة الديمقراطية لمصلحة حماس وتضائل احتمال السلام مع اسرائيل. في العقد الاخير تبين أن انعدام حكم سوي تسبب باضعاف المؤسسات السياسية، وانتشار الفساد واخراج الاسلاميين والجيل الشاب من الحركة الوطنية من المسيرة السياسية. كانت النتيجة أن السلطة لم تنجح في تقديم تقدم نحو تسوية مع اسرائيل ولا خدمات عامة ضرورية. تسبب هذا الشيء بتآكل شرعيتها وبتشجيع معارضة تحدت القيادة، الى حد بلغ هو اقامة دولة في داخل دولة.

في هذا الوضع، يتابع الشقاقي، فقدت قيادة السلطة الارادة السياسية لفرض القانون والنظام. يزاد على ذلك أن الاسلاميين الذين يرون انقياء الايدي، اجتذبوا اليهم موجات المشايعة، الى حد بلغ تغيير ميزان القوى السياسي. وهكذا ضعفت أكثر فأكثر مكانة الدوائر الوطنية، التي بقيت العامود الفقري للمسيرة السلمية. يؤمن الشقاقي أن مكافحة الفساد، وفي ضمنها عزل كثير من رؤساء الاجهزة الامنية، هي مفتاح قلب الجمهور الذي وجد ملاذا في حضن حماس.

بحسب ما يقول مقربون من ابي مازن، ليس الرئيس محتاجا الى مشورة الشقاقي ليرتب البيت. في غد الانتخابات ينوي استبدال افراد جيل المتابعة بقدماء فتح. ان الانباء عن ان نبيل شعث مرشح لولاية رئاسة الحكومة، تظهر الانشراح على وجه ابو مازن الحزين. «انه يفضل الموت على تعيين نبيل»، قال في هذا الاسبوع احد مقربيه. يعد شعث شخصا غير مرغوب فيه لا في المقاطعة وحدها. بعد أن تحدث للـ «بي.بي.سي» بأنه سمع جورج بوش يقول ان الله أمره ان يهيئ للفلسطينيين دولة، أصبح شعث ممنوعا من دخول الولايات المتحدة، على الاقل حتى اليوم الاخير لبوش في البيت الابيض. في الحق أن محمد دحلان حسن مكانته بفضل الربط الناجح بين فصيلي فتح، لكنه يعد شابا ووغدا جدا. الحل الذي يلوح هو ائتلاف الفصيلين. مروان البرغوثي المسجون سجنا مؤبدا سيحل محل ابي العلاء في رئاسة الحكومة، وبسبب حده المؤقت الطويل الامد، سيكون وزير المالية سلام فياض قائما دائما مقامه. وزير الداخلية، نصر يوسف المسؤول عن الاجهزة الامنية، هو أيضا من قطاع المتقاعدين، ويستطيع البدء في حزم امتعته. يعد يوسف لواء ممتازا وسائسا سيئا. منذ الانفصال لم ينجح في اقامة ائتلافات مع مراكز قوة محلية وان يرتب ميدانه ـ قطاع غزة. لم يستطع الثبات حتى لضغط حراسه الشخصيين من أجل أن يزيد في اجورهم. لقد زاد 600 شيكل على الـ 1,200 شيكل التي يحصلون عليها (في شهر، لا في اسبوع). الاوروبيون، وهم الذين يوقعون على الصكوك، اغلقوا الحنفية وابتهجت دولة حماس وفرحت.

مؤيدون لحركة المقاومة الاسلامية «حماس» خلال تظاهرة في غزة

عكيفا الدار
مراسل الصحيفة للشؤون الفلسطينية
(هآرتس) 2006/1/20

سارعت الى إرسال وفد لموسكو في محاولة لتنسيق المواقف واتخاذ القرار المناسب

طريقة تعامل اسرائيل مع موضوع محاولات ايران التزود بالسلاح النووي مبالغ فيها

■ تصريحات الرئيس الايراني، محمد أحمدي نجاد، الأخيرة حول اسرائيل واليهود مخيفة ومقلقة، إلا أنها مع ذلك تعمل لصالح اسرائيل وتخدمها. فهي تجر ايران للوقوع في مواجهة مع المجتمع الدولي، بل وتثير معارضة حتى بين الدول العربية. وتصريحات نجاد المخيفة تقوي الاشخاص الذين يقولون بأن «ايران نووية» ستشكل خطرا قويا على جيرانها وعلى حالة الاستقرار العالمي، وعلى المنطقة خاصة، وكذلك فانها (التصريحات) تقوي الرأي العام العالمي ضد ايران والذي يتزايد يوما بعد يوم. بل إن هذه التصريحات تعزز وتقوي الادعاء بأن الخطر القادم من وجود سلاح نووي يكون حقيقيا أكثر اذا كانت الاصبع التي تضغط على الزناد اصبع متعصب ديني ومغامر متشدد لايديولوجية دينية أو غيرها.

لقد اقتنع الاوروبيون خلال الاسابيع الأخيرة الماضية بأن الايرانيين يتلاعبون بهم ويسخرون منهم في المفاوضات التي يجرونها معهم. وأن ما شعر به الاوروبيون هو كأنهم سائحون يرغبون بشراء الحقائق والواقع من بازار فارسي قديم، ولا يفاوضون دولة من اجل السلام العالمي.

حين طُرح الاقتراح الروسي، المعروف، بأن تقوم ايران بعملية تخصيب اليورانيوم الخاص بها في روسيا، أسرعت ايران لرفض هذا الاقتراح. ولكن، بعد أن تصاعدت الانتقادات العالمية لايران، لم تتردد بعد ايام لتعلن بأنها تريد دراسة هذا الاقتراح والتحدث بشأنه. الاسلوب الايراني هو «التحدث والتزود بالسلاح النووي في نفس الوقت». وهذا الاسلوب والتحايل الايراني فهمته ايضا بعض الدول العربية مثل مصر وسورية والعراق (الجديد)، وكذلك دول الخليج العربي التي أعربت بعض دوله عن مخاوفها وهمست في أذن الامريكيين عن تخوفها من ايران نووية.

وبعد تكشف حقيقة التلاعب الايراني في موضوع الطاقة النووية، استمعت الى احدى الشخصيات الكويتية بأنه «سيكون من الأفضل للعرب أن تقوم اسرائيل بتدمير قدرة ايران النووية».

النقاش يدور في هذه الايام حول ما اذا أصبح من الضروري رفع ملف ايران النووي الى مجلس الأمن الدولي. والولايات المتحدة مقتنعة بأنه حتى لو لم يتبلور داخل مجلس الأمن الدولي قرار يفرض عقوبات على ايران بسبب هذا الموضوع، فانها مقتنعة انها بذلك تكون قد نقلت «الكرة الى ملعب الخصم». وتؤكد مصادر رسمية في الادارة الامريكية أنه حتى لو كانت النتيجة عدم اتخاذ قرار الآن، فانها ستكون مقدمة لازمة، في يوم من الايام، لاعادة طرح هذا الملف وإثارة الموضوع أمام مجلس الأمن الدولي، بل ربما يحتاج الأمر الى أكثر من مرة قبل أن تكون دول العالم قد أصبحت جاهزة لفرض هذه العقوبات على ايران. فاحتمالات انضمام الصين الى هذه الخطوة ضعيفة جدا، وروسيا أصبحت اللاعب الأكبر والمركزي في هذه العملية، فهي تبيع لايران المفاعلات الذرية، ولها مصالح اقتصادية كبيرة معها من جهة، وفي نفس الوقت فانها لا تريد أن تكون لها جارة على حدودها تمتلك سلاحا نوويا، من جهة اخرى.

من الضروري جدا معرفة وفهم الموقف الروسي الحقيقي في هذا الموضوع، وأن لا ننساق وراء الأخبار الصغيرة. ومن المهم ايضا أن تعرف روسيا بالضبط الخطوط الاسرائيلية الحمراء في هذا الشأن. وعليه، فان القائم بأعمال رئيس الوزراء، ايهود اولمرت، أوفد على وجه السرعة وفدا رسميا الى موسكو، على مستوى عال بقيادة رئيس مجلس الأمن القومي الاسرائيلي، الجنرال غيورا آيلاند، ومدير عام لجنة الطاقة النووية الاسرائيلية، جدعون فرانك، وكذلك قائد وحدة التخطيط الاستراتيجي في وزارة الخارجية، مريم زئيف، ومندوبا عن جهاز المخابرات العامة «الشاباك».

ايران، وكما فعلت كوريا الشمالية من قبل، ردت بقوة وتطرف على الدعوة لنقل ملفها الى مجلس الأمن حتى قبل ان يتم تنفيذ هذه الخطوة، بل هددت بأنها ستقوم بخطوات حادة وقوية في هذا الشأن اذا تم فعليا نقل ملفها الى مجلس الأمن الدولي، وتُذكر بأن كوريا الشمالية سبق لها أن قالت بأنها ستعتبر نقل ملفها الى مجلس الأمن بمثابة «خطوة حربية» ضدها، وأنها ستتصرف بناء على ذلك، وهذا بلا شك يعتبر تهديدا للعالم وللرأي العام العالمي والمجتمع الدولي كله، ومحاولة لزعزعة وجود المؤسسات الدولية.

الازمة النووية الآن تتمحور حول ايران، ولكن يجب أن لا ننظر الى المواجهة عبر هذا التمحور والحصر بايران فقط، فمن وجهة نظر استراتيجية يجب علينا النظر الى هذه القضية من ناحية اقليمية خاصة، وعدم الاكتفاء بالسؤال ما اذا كانت ايران الشيعية المتطرفة ستكون دولة نووية فقط؟ بل يجب السؤال ايضا ما اذا كان الشرق الاوسط في أعقاب ذلك سيكون منطقة، من مناطق العالم، التي ستتحول فيها بعض الدول لتكون دولا نووية، بما في ذلك، ربما، بعض القوى والمجموعات الارهابية. وعليه، فان تطورا من هذا القبيل لن يقف حائلا أمام امكانية استخدام هذا السلاح النووي في المنطقة، أو من المنطقة باتجاه مناطق اخرى في العالم.

زئيف شيف
خبير أمني واستراتيجي
(هآرتس) 2006/1/20

اسرائيل لم تعد قادرة على الغناء المنفرد في ظل الظروف الناشئة مع الارهاب العالمي

تصريحات قادة اسرائيل الحماسية ضد ايران خاطئة ولا تخلو من الغمز نحو الانتخابات

■ لم يأسف أبدا شخص على شيء لم يقله. خصوصا اذا كان الأمر متعلقا بسياسي مدني دخل الى حذاء جنرال سابق. اهود اولمرت الذي لم يصبح بعد رئيس وزراء منتخب، دخل في حذاء عسكري الى حقل ألغام كلامي. خلال مؤتمر صحفي عُقد إبان زيارته الى مقر رئيس الدولة، قال بأن اسرائيل تعتبر التهديد النووي الايراني أشد خطر يحدث بأمنها القومي. «اسرائيل لا تستطيع في أي مرحلة أن تسمح لطرف ما يملك نوايا حاقدة ضدنا بأن يمتلك سلاحا فتاكا قد يهدد وجودنا. اسرائيل لن تُسلم بوضع تكون واقعة خلاله تحت هذا التهديد». لا غرابة أن وسائل الاعلام قد فسرت اقواله هذه كانذار عسكري.

ارييل شارون في المقابل، الذي يسير اسمه أمامه كقائد حربي مجيد، تحدث قبل اصابته بالجلطة الدماغية بعبارات أكثر حذرا وأقل حماسة. هو قال انه ليس على اسرائيل أن تقف على رأس حربة المكافحين ضد تسلح ايران النووي حتى لا يتهمنا العالم بالمبادرة الى عملية عسكرية ضد ايران، اذا حدثت.

من دون الاستهانة بخطورة التهديد النووي الايراني، هناك انطباع بأن الخطاب المعجم الذي تتحدث به اسرائيل في هذه القضية يتخطى كل الحدود، وليس واضحا من الذي يخاف منه أكثر ـ الاسرائيليون أم الايرانيون. رئيس هيئة الاركان، دان حلوتس، قال أكثر من مرة ان علينا أن نقلق ممن نقش على رايته شعار إزالة اسرائيل. وفي ظهوره الأخير قال: «امكانية أن تكون لايران اسلحة نووية هي التهديد الوجودي الوحيد لدولة اسرائيل».

من الأجدر الانتباه للتواريخ التي تتضمنها التصريحات التحذيرية المخيفة التي تصدر علانية. رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، زئيف فركش، قال قبل انهاء مهام منصبه أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست أن ايران ستمتلك حتى أواخر آذار (مارس) 2006 القادم قدرة على انتاج القنبلة النووية. رئيس هيئة الاركان واهود اولمرت يطلقان تحذيراتهما في منتصف كانون الاول حيث يعتبر التاريخ المحدد لامتلاك ايران للقدرة على انتاج القنبلة هو أواخر آذار قبل الانتخابات بيوم أو يومين. المفاعل النووي العراقي كان ـ صدفة أو لا ـ قد قُصف في حزيران (يونيو) 1981 وقبل الانتخابات الاسرائيلية بأيام قلائل. ليس غريبا اذن أن تنشر «الصاندي تايمز» الهولندية خبرا مفاده أن اسرائيل قد أعدت خطة هجومية جوية ـ برية لضرب المنشآت النووية الايرانية.

القيمة العليا الاسرائيلية كانت منذ البداية أن تتمكن الدولة من الدفاع عن نفسها بقدراتها الذاتية. القادة الأوائل قالوا لاصدقائنا في العالم ـ أعطونا الأدوات فنقوم نحن بالمهمة. مناحيم بيغن اعتاد التفاخر بأن جنديا امريكيا واحدا لم يُقتل دفاعا عنا. ولكن كل ذي عقل يدرك أننا لسنا وحدنا اليوم. في الظروف الناشئة مع الارهاب العالمي والتهديد النووي الذي يمتلكه المتعصبون والمهووسون لم تعد اسرائيل قادرة على الغناء المنفرد.

لو كان العالم غير مبال بالتهديد الايراني بإبادة اسرائيل، لكان هناك سبب نقلق منه. ايران هي اليوم بؤرة ارهاب دولية، والخطر يكمن في أن تمتلك سلاحا نوويا يهدد دول الخليج التي توجد لها فيها مصلحة تفوق اطلاق صاروخ نووي نحو اسرائيل. وعندما يتعلق الأمر بتهديد لمصادر النفط يصبح العالم كله في خطر محدق. ليس صدفة أن الولايات المتحدة ودول اوروبا وروسيا بعد فترة قليلة يتحدون معا في ايصال المسألة الى مجلس الأمن. واذا تطلب الأمر شن عملية عسكرية فستكون أكثر تعقيدا من مجرد هجوم بثماني طائرات، كما حدث مع المفاعل العراقي في السابق.

المسألة ليست ايران في مواجهة أسرائيل، وانما ايران في مواجهة العالم. ايقافها، والأكثر من ذلك، مهاجمتها، هي مهمة أكبر منا. رغم تهديداتنا يتوجب علينا في هذه المجابهة الرهيبة أن نكون في سرب المشجعين وليس بين اللاعبين في الملعب. لدينا بالتأكيد مصلحة في المشاركة في المساعي الدولية لكبح ايران كجزء من العالم العقلاني، سواء من خلال تمرير المعلومات أو المشاركة في عصف الأدمغة الدولي. ولكن من المهم ايضا أن نحافظ على التواضع وعدم البروز في إسهامنا في الجهود الجماعية الدولية الساعية للدفاع عن نفسها. التهديدات والتحذيرات وغطرسة قادتنا تُذكرنا بعبارة أوري زوهر واريك اينشتاين في سياق آخر لا يُنسى: لماذا يسارعون للوثب؟.

يوئيل ماركوس
معلق دائم في الصحيفة
(هآرتس) 2006/1/20

لان الوضع الخاص للطبيعة السكانية والطوبوغرافية هنا يجعلها تختلف عن تلك الموجودة في القطاع

الحساسية البالغة التي فرضت نفسها على عمليات اخلاء مستوطنات قطاع غزة لن تفرض نفسها هذه المرة في الخليل وفي البؤر الاستيطانية غير القانونية

■ عملية «الأسواق النشيطة» خرجت الى الطريق وبدأت، وأهداف هذه العملية التي ستُدار تحت قيادة فيلق «ارض اسرائيل»، ستكون اخلاء المستوطنين غير القانونيين في عمونه، وكذلك اخلاء المستوطنين من سوق الجملة في الخليل، وهو الاستيطان، كذلك، غير القانوني، وكذلك فان الحديث يدور عن بؤرتين استيطانيتين غير قانونيتين هما حفات سكالي وحفات عروسي، واللتان كانتا جزءا من خطة الاخلاء التي اتخذ القرار الأساسي بشأنها منذ البداية، إلا أنهما حظيتا بقرار تأجيل صدر في أعقاب الاستئناف الذي قُدم الى المحكمة العليا. وفي مطلع الاسبوع القادم سيوقع رئيس هيئة الاركان على خطة الاخلاء التي ستصبح جاهزة للتنفيذ الذي سينفذه هذا الفيلق، ومن ثم يوقع عليه وزير الدفاع للتنفيذ، وبذلك تخرج هذه العملية الى حيز التنفيذ الميداني. حسب المخطط الأصلي الذي وضع في البداية، كان من المفترض أن تبدأ عملية التنفيذ صباح يوم الاربعاء، إلا أن الجيش الاسرائيلي هو الذي اقترح على القيادة تأجيل التنفيذ حتى نهاية الشهر الحالي، أي الى ما بعد انتهاء الانتخابات الفلسطينية بتاريخ 25 كانون الثاني (يناير) الحالي، وهذا لا شك كان خطأ، لأن كل يوم يمر على هذه الحال يزيد الأمور خطورة. واذا اعتقد أحد، مهما كانت مكانته، بأنه خلال هذه المدة الاضافية التي تم فيها التأجيل سوف يتم التوصل الى حل أو تسوية مع «مستوطني عمونه»، وأن هؤلاء سيوافقون على الاخلاء طواعية مقابل حصولهم على اراض غيرها في مكان آخر، فانه يكون قد اخطأ بصورة فظيعة.

كل يوم يمر على بقاء الوضع على حاله تزداد حدة وخطورة التعابير والألفاظ وتصبح أكثر تطرفا، وأن المستوطنة تستعد لمواجهة وأنهم أخذوا باعداد حواجز وعراقيل وحفر الطرق، وأن سكان عمونه يخططون لأن تتحول المواجهة مع الجيش الى «رمز للمقاومة» ومعارضة الاخلاء وامكانية الانفصال عن جزء من «ارض اسرائيل الكبرى».

الشخص الوحيد الذي لا يشعر بالمفاجأة الكبيرة مما يحدث الآن في هذه القضية هو الجنرال يئير نفيه، قائد المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي، ففي اليوم الذي انتهى فيه اخلاء العائلات اليهودية من مستوطنة سا ـ نور في الضفة الغربية (والذي تزامن مع قرار الانسحاب من قطاع غزة)، كان يئير قد تنبأ بذلك وقدر سلفا ما سيحدث في المنطقة الآن، بل انه فهم ذلك بتفصيل التفاصيل: مجلس المستوطنات اليهودية سوف يتحطم. وسوف تتسع الخلايا المتطرفة وتزداد، وهذه الخلايا المتطرفة سوف توجه وتُقاد من قبل عدد من الحاخامات المتطرفين. وبذلك، فانه لن يتم منع حدوث المواجهة.

هذه التنبؤات أصبحت حقيقة على ما يبدو، فمن وجهة نظر قائد المنطقة الوسطى، فان ما يحدث الآن في عمونه وفي البؤر الاستيطانية غير القانونية، وكذلك في مدينة الخليل وخصوصا في السوق، لا يمكن وصفه بأنه «مجرد اخلال بالنظام»، وكذلك فان هذه الاعمال ليست «مجرد معارضة لقرار سياسي يرفضون قبوله، بل انها عبارة عن تمترس وتحصن ضد السيادة الرسمية لحكومة اسرائيل، سواء على دولة اسرائيل ذاتها أو على الاراضي في الضفة الغربية».

والآن، فقد وصلنا الى لحظة الحقيقة، فاعتبار مدينة الخليل «منطقة عسكرية مغلقة» في يوم الاثنين من هذا الاسبوع ستكون الخطوة الاولى الفعلية في سلسلة خطوات عملية «الأسواق النشيطة». وهدف هذه الخطوة بطبيعة الحال هو عزل الحي اليهودي في الخليل عن بقية المناطق، وبذلك منع تدفق اليهود المساندين للمستوطنين المتطرفين من كل أرجاء الدولة الى هناك، وكما حدث في نهاية الاسبوع الماضي. ومع ذلك، فان الاعتقاد السائد في مقر قيادة المنطقة الوسطى هو أنه في ظروف وطبيعة الضفة الغربية فان الأمر لن يكون على مستوى ما حدث في قطاع غزة، وذلك لطبيعة المنطقة هنا واختلافها عن القطاع.

قيادة الجيش الاسرائيلي تنظر لعملية الاخلاء هذه على أنها ستكون الامتحان الذي سيؤثر بقوة على كل اجراء أو عملية تالية يمكن أن تحدث في أي مكان من مناطق الضفة الغربية، الآن وفيما بعد، وأن فشل هذا التحدي وعدم نجاح امتحان القوى القادم سوف يؤدي الى سلسلة من المواجهات التي لن تنتهي، لذلك، فانه لا يوجد للجيش الاسرائيلي أي خيار إلا الانتصار في هذه المواجهة المقبلة وأن لا يفشل فيها مطلقا. كذلك الأمر بالنسبة للمستوى السياسي الذي أصدر تعليماته لقيادة الجيش لتنفيذ هذه العملية، الاخلاء، فالحديث يدور حول صراع قوى سياسي سوف تكون تأثيراته قوية ومؤثرة على مسيرة الانسحاب عن الضفة الغربية في يوم من الايام. وحين سأل بعض الصحافيون قادة الجيش في القيادة الوسطى هذا الاسبوع عما اذا كان حشد 250 من رجال الشرطة هذا الاسبوع في الخليل، يعتبر كافيا لتنفيذ عملية الاخلاء، فقد أجابوا باستغراب كبير «ماذا؟ ان 250 من رجال الشرطة ربما تمكنوا في أحسن الاحوال من توجيه الحركة فقط». وعليه، فقد قرر وزير الدفاع هذا الاسبوع أن النواة الأساسية اللازمة والتي ستتواجه مباشرة مع المستوطنين في أهداف ونقاط الاخلاء يجب أن تتشكل من 1,300 من رجال الشرطة، ومن الخيّالة ومكافحة الشغب، بالاضافة الى 250 من المجندات اللواتي سيقدمن المساندة للقوات الاخرى. نائب قائد الشرطة في اللواء الجنوبي، سيتولى الاشراف على العمليات الأولية، بينما الجولة الثانية ستكون في غالبيتها بتنفيذ واشراف رجال حرس الحدود في الضفة الغربية من التي سوف يتم دعمها بثلاثة كتائب من رجال الجيش النظامي، وهذه القوات ستتمكن في اطار هذه العملية التي ستشارك فيها مجموعات تُقدر بـ 1500 ـ 2000 رجل، من عزل المنطقة تماما وضمان استمرار فتح محاور الطرق والاتصال بين بعضها البعض.

التقديرات المدروسة في قيادة الجيش تقول بأن مقاومة كبيرة ستحدث، لذلك فانه لا بد من استعمال اليد القوية، بما في ذلك استعمال قنابل الغاز. والخطة ستكون الانتقال من موقع الى الذي يليه بعد أن يُستكمل الاخلاء، وذلك على اعتبار أن المواقع الثلاثة، عمونه وسوق الجملة في الخليل والموقع المعروف بـ «موقع 725» بالقرب من مستوطنة يتسهار، سوف تتم عملية الاخلاء فيها خلال مدة اسبوع ونصف الى اسبوعين على الأكثر.

تقدير الوضع داخل الجيش الاسرائيلي يوصف بالتشاؤم الكبير، وذلك لان سوق الجملة في الخليل لا يشبه أي موقع آخر في منطقة غوش قطيف، لا من حيث الطبيعة الطوبوغرافية ولا من حيث التركيبة السكانية للمكان. ففي داخل الخليل تحتشد القوى الأكثر تطرفا من بين المستوطنين اليهود في أي مكان آخر، والمخاوف تدور حول امكانية قيام هؤلاء المستوطنين بأعمال عدائية طائشة، لا ضد قوات الجيش الاسرائيلي التي ستقوم بعملية الاخلاء فقط، بل ضد المواطنين الفلسطينيين سكان المدينة والأحياء المحيطة بهذه السوق، وذلك بهدف إشعال حريق كبير في هذه العملية.

كذلك الحال بالنسبة لتركيبة الحي اليهودي نفسه الذي يعتبر بحد ذاته مشكلة قائمة، فنحن نتحدث عن منطقة داخل مدينة، مبنية على صورة مكتظة لمجموعات يهودية بين المواطنين المحليين، الأمر الذي يضاعف من تعقيد هذه العملية ويزيد في صعوبتها.

يمكن القول كذلك ان ارتفاع حرارة الوضع تدفع معها، وعلى نحو سريع، الى اتخاذ قرارات بوتيرة سريعة وفي غاية الأهمية، ففي الأصل، وحسب الخطة الاولى التي أقرها وزير الدفاع موفاز، أنه في الوقت الذي يتم فيه اخلاء عمونه والسوق القديم في الخليل الى جانب ثلاث من البؤر الاستيطانية غير القانونية في الضفة الغربية التي ينطلق منها المستوطنون (الشبان) لتنفيذ عمليات اقتلاع اشجار الزيتون التي أصبحت ذات شهرة كبيرة، إلا أنه خلال المشاورات التي جرت في قيادة الجيش وبحضور القائم بأعمال رئيس الوزراء ايهود اولمرت، استغل موفاز الوضع وعرض خطته المبنية على استغلال عملية تركيز وحشد قوات الأمن الخاصة من اجل إكمال عمليات اخلاء مواقع اخرى وبؤر استيطانية غير قانونية تبلغ حوالي العشرين موقعا، وعلى ما يبدو، فان رئيس الوزراء بالوكالة، اولمرت، قد قبل بهذا الاقتراح وأنه سيتم عرض هذه الخطة خلال الاسبوع القادم.

اليكس فيشمان
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/1/20